بقـايـا جسـد

مجموعة قصصية

الطبـعـة الأولـــى
2020م- 1441هـ

ديـــوان العـــرب
للنشر و التـوزيـــع

ملحوظـــــــةٌ: حقوق الطبع جميعها محفوظة للمؤلف

عنـــوان الكتاب: بقايا جسد

اســـم المؤلف: حسن جبقجي

التصنيف الأدبي: مجموعة قصصية

رقم الإيـــــداع: 10264 / 2020

الترقيـــم الدولي: 5 - 84 - 6792 - 977 – 978

تصميـــم الغلاف: محمد وجيه

التدقيـــق اللغوي: د. هبة ماردين

التنسيق الداخلي: محمد وجيه

رقـــــم الطبعـة: الطبعة الأولى

المديـــــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر - بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

بقايا جسد

مجموعة قصصية

حسن جبقجي

إهداء

إلى جدتي..

طاحونة جدتي في البيت بعد القصف

ظلت تدور وتدور

حسن جبقجي

****

ما قبل السرد

إنّ الكتابة عن جرح نازف، لم يندمل بعد كالجرح السّوري، صعبة و مؤلمة، و بخاصّة من قاص كابد و عانى، و يلات الحرب المفروضة بين جماعات الشّعب الواحد.. ما اضطره إلى الرّحيل و اللّجوء بعيداً. ضمن زمرة اللاجئين، الفارين بأنفسهم و أطفالهم.. تاركين كلّ غال و نفيس من متاعهم و أرزاقهم ..

فمن ديار الغربة و الاغتراب و الحنين، لما تبقى من الوطن المدمّر، يكتب، القاص حسن جبقجي ، لا ليوثق أحداثاً مروعة، كان شاهداً عليها. أو يستعيد مأساة الجرح الذي تفاقم فحسب. و لكن ليعبّر في إطار مسار قصصيّ فنّي، ينبض بكلّ حزن وشجن، و يتفاعل بحسّ واقعيّ تارة، و تخييلي فنّي تارة أخرى، تاركاً للمتلقي صلاحية الاستنباط و التّأويل. و ملْء الفراغات، و الجواب عن التّساؤلات..

مجموعة " بقايا جسد " تتحدث عن بقايا سورية التي كانت تنبض بالحضارة، و عبق التّاريخ .. و تقف بنصوصها وِقفة طويلة عند سورية الوقت الحاضر، التي تنوء من أعباء حرب مجنونة، في خضم من الدّمار

و التّلاشي، و أزيز الطّائرات، و فرقعات البراميل المحمومة المتساقطة، و لعلعة الرّصاص، و الشّظايا، و الضّحايا و الدّخان، و المقابر الجماعية، و الهروب لأيّ مكان، و اللّجوء، عبر البحر عرضة للغَرق ..

انقسمت المجموعة إلى قسمين :قسم خصّه القاص بالقصّة القصيرة ، و أخر بالقصّة القصيرة جداً، و إن كنتُ أجد أنّ ذلك كلّه يدخل في إطار القصّة القصيرة جداً. لأنّ الاعتبار إذا توقف على الحجم، فقد تمتد أسطر القصّة القصيرة جداً لما يصل إلى صفحة إلى صفحة ونصف. و ذاك ما بلغته النصوص الخاصّة بالقصة القصيرة في هذه المجموعة. حقاً أن النصوص الخاصة بالقصة القصيرة جداً جاءت جدّ قصيرة. و لكن ذلك لا يغير في الأمر شيئاً، فهي كآلة الكورديون تتقلص و تمتدُّ في حدود متفق عليها، بمعنى لا تصل إلى مستوى حجم القصّة القصيرة. التي تتراوح بين خمس و سبع صفحات.. حسب المتعارف عليه.

مجموعة " بقايا جسد " من خلال نصوصها القصصية اعتمدت مكونات فنّية مُتنوعة جعلتها في نسق قصصي يعتمد الحكي بشكل أساسيّ . نحاول أن نجملها في التالي :

1 ــ أنْسَنةُ الأشياء، الكلُّ أصبح يُعبّر عن حالةٍ، و وضعٍ خاص. و لسان حاله يُردد أنا شاهد على ما حَدثَ و يَحدث..

2 ــ تَوظيف النّسق الغرائبي، و العجائبي.. للتّعبيرعن أجواء اللامعقول التي تكتنفُ الأرض و البَشر، فينعدم المنطق،و الحوار، و تنتصرلغة الفتك والدّمار. وروح الأدرمة، والسّودوية.

3 ــ الوصف المقتضب، الذي يشبه وخز الإبر، لتحديد عناصر المأساة، تجنباً لأيّ استطراد أو تكرار، مع المَيل للإشارات الإيمائية ..

4 ــ اللّغة النّقدية، و قد جاءت هادئة شفّافة، و تكاد تكون مُهيمنة على أغلب النّصوص، لأنّ ما وَقع و يَقع يستوجب نقداً، لكلّ السّياسات التي اتّبعت، فأساءت . و السياسة التي ينبغي أن تكون مستقبلا، لصالح الشّعب. لاستخلاص العبر، و تجنب تكرار المَأساة ..

5 ــ تَوظيف الصّورة السّردية، بين فردية: التي تعتمد التّصوير الحسّي دون النّفسي، و الصّورة المركبة: التي تجمع بينَ ما هو حسّي، و ما هو نفسي/ عاطفي.

6 ــ التّنوّع الموضوعاتي، و لكن في إطار الحرب السورية. و لقد نجح القاص حسن جبقجي في سردها من زوايا مختلفة، و كأنه يرصدها بكاميرات متعددة، ما أضفى على المجموعة تنوعاً سردياً في إطار واحد .

7 ــ المقاربة الاختزالية: و تكاد تكون عامّة، كنسق سرديّ، سواء في القصّة القصيرة أو القصيرة جداً، فهناك دائماً فرغات بيضاء.. و أشياء لم يتم الحديث عنها، و كأنّها فرصة للمتلقي، ليفرد جناحي خياله، ليحلق بعيداً.

8 ــ اعتماد القاص حسن جبقجي على السّارد العليم، و السارد المشارك. و تبدو المَسألة عادية، بحكم معاناة القاص نفسه، و اطلاعه على معاناة الآخرين، سواء في سورية أو أثناء الهجرة، واجتياز البحر، أو في ديار الغربة و اللّجوء. كلّ هذا حتّم توظيفَ السّاردَين، و الجميل أنّ القاص حسن جبقجي أحكم السّيطرةَ عليهما، فلم يشتطّ السّارد العليم فيقول كلّ شيء. و لم يغتر السّارد المشارك، فيسهب في مشاعره و سلوكه ..

9 ــ اللّغة في المجموعة اتّسمت بالبساطة، في إطار قصصي فكانت في مستويين:

السّرد و الحِوار، و إنْ كان السّرد مهيمن على النّصوص. التّراكيب في معظمها لم تكن مُكثّفة أو غامضة، ولكنّها ذات طابع اختزالي. تسمح بالتّأويل في الغالب. و تعتمد البوحَ و الحكي أساساً. أمّا الحوار و إن كان أغلبه بالعربية الفصحى، فقد راعى القاص مستويات الأشخاص، بل وقد عمد إلى التّهجين و التّنضيد، و إن كان ذلك في أقلّ ما يمكن ..

10 ـ القُفلة، تشكّلت القفلة في صور مُتعددة، و لكن أهمّها ما جاءت مُفاجئة و صادمة. معبرة عن إحساس جريح، و مشاعر مَكلومة، و أرواح ضائعة، فالمفارقة في جميع النّصوص تبدو ذات أثر درامي خالص، و لقد اجتهد القاص في أن يجعل القفلة علامة تذكير قوية، تشدّ الانتباه.بل تدعو للتّأمل و التّساؤل ..

11 ــ الإحساس بالعبثية: إحساس تشبعت به معظم نصوص المجموعة، لا أحد يعرف حقيقة المأساة! و لا كيف تطورت؟ و لا متى تنتهي..؟ و إن كان الكل يفهمها فهماً خاصاً به.. غير أنَّ الكلّ يدفع الثّمن، و الكلّ ضحية، و المؤامرة فوق الجميع، و القتلُ المستمر هو اللّغة اليومية ..

12 ــ التّنوع: ففي هذه المجموعة يشعر المتلقي فضلا عمّا سبق أنّ النّصوص تجمع بين الواقعي و هو المُهيمن، و الفانتاستيكي و الحلمي و السير ذاتي..

و ذلك في تمازج رؤيوي ينصب على الحدث السّوري في مَقصدية واضحة .

عموماً هذه الشّذرات، و التّلميحات متجمعة.. أو ما سيكتشفه المتلقي من ذات نفسه، توضح عمق موهبة القاص السّوري حسن جبقجي، و تلمح لما له من استعداد لبناء صرح قصصي في مجال القصّة القصيرة، و القصيرة جداً. هذا الجنس الأخير من السّرد الذي أصبح يفرض نفسه بشكل لافت، حتّى أنّ الأقلام جاءته من أجناس أخرى تخطب ودّه.و قد ظلّ و مازال مستعصياً، لا يناله إلا من أوتي موهبة، و استجاب لقواعد الممارسة.. كالذي نجده في مجموعة حسن جبقجي : " بقايا جسد " .

د. مسلك ميمون

أكادير ــ المغرب

****

حكايات بين الورق

كل الألوان تهرب مني ومن يدي الشاحبة ...حاولت التخلص من ذلك القلم اللعين..كسرته و لكن يدي مازالت تتخبط في الهواء؛ ترسم شخوصاً بشرية...

أمس تذكرت ظلي وهو يضحك علي أمام كومة ورق بيضاء ...

- حتى لو كسرت رقبتي ..سنبقى لنعيش ..نحن لا نموت...

أحاول أن لا أفكر..لكن ..الأصوات تعلو من وراء قلم لا ينام..

خرجت الى الشارع المليء بالبشر..من بعيد كانت ظلال سوداء وبيضاء تلاحقني وتسخر مني وتبدأ بتشكيل حياتها العادية وكأننا لسنا في الشارع..

داخل اللوحة يمسك شاب بفتاة ويقبلها أمام الناس ..

أحاول إغماض عيني ..أصطدم بالرصيف ..داخل الورق؛ أحدهم سرق صحن الطعام من أمام جائع ...

أحدهم مدّ ذراعه إلي ...

-هل أنت بخير يا سيد.

-نعم ..نعم..

الظلال تبتعد عني وأصوات لهوهم تعلو السماء..

عدت إلى البيت وأنا أحمل حزني وكآبتي البشرية وعجزي أمام هذه المخلوقات الأثيرية ...

تصرّ أنها باقية تتمدد ..

أغمض عيني ..وتبدأ حكايات الليل الطويل..

أعود و أفتح عيني بقوة ..

-لا أريد أحداً أبداً

صوتي عال يخترق جدار المنزل

سمعت جارتي تقول لزوجها ..ربما جارنا قد جن ...أفضل أن نتصل بمشفى الأمراض العقلية..

ألوذ بالصمت خوفاً من ثرثرة تلك الجارة اللعينية..

تعود يدي تتحرك في الهواء وترسم أرواحاً بشرية..تحكي ..تضحك ..تصرخ ..ترقص ..

و أنا نائم و مازالت يدي تكتب لتحيا الحكايات.

****

مدينة في جنح الليل

لا أعرف ماذا حصل عندما انقطعت الكهرباء فجأة ،قرصت حبيبتي قرصاً مؤلمًا من شدة ألمها ،صرخت بفرح صامت..خافت أن يخرج الجيران ويفتضح أمرنا بين الدرج وتصبح فضيحتنا بجلاجل ..

-الحمدالله ليس لديك إخوة، وأعرف أن أباك عجوزٌ جداً لايستطع أن يعلو صوته أمام زوجته ....رجل هادىء مثل رجال هذا الزمان .

تذكرت له آخر قصة شجار مع جارنا زكور ..

كان ابن زكور يصطاد الحمامات لكنه اصطاد شرفة بيتكم، وأصاب زجاجكم ...

ذهب أبوك إلى زكور و بكل هدوء شرح له القصة ..

لكن يومها برّر زكور أن ابنه أخطأ رمي الهدف ،وبالتالي الخطأ هنا غير مقصود وهو الآن يستنكر ما حدث... لكنه ليس له علاقة لا من قريب ولا من بعيد...

-لكنه ابنك...! من يصلح لنا الزجاج المحطم ؟

- ابني... تصرف معه... أقول لك بلط البحر...

يومها قال أبوك جملته الشهيرة...

-اشتكي امري لله...

وأصبح ابن زكور يرمي حجارة على منزلكم بقصد أو دون قصد ..
وفي اليوم التالي قال لنا (الله يطفئها بنورها)
قَالَتْ لي:
-أنت تستغل المواقف..
وبدأ يعلو صوتها ..
-أرجوك لا تصرخي ربما يخرج الجيران ..أبوك مثل أبي ..
أنا أعرف أني أعيش في زمن مختلف...
لا تحزن يا حبيبي ..يوماً ما سأخرج إلى العلن وأوجعك قرصاً أمام الجميع ولن أخشى أحداً وبعدها سنذهب معاً إلى أقرب مركز انتخابي وأقول لا بثلاث ...
عندها لن أقف مجدداً في الطوابير الصباحية، ولن أنتظر في محطة الباص ...
ولن ترى مجددا الكثير من الإعلانات التجارية السخيفة...
في المساء حل اللون الأسود في المدينة ،وحلقت الغربان ،بحثت عن حبيبتي بين الشقق وفي مداخل البنايات وفي الشرفات وحدائق الزهور ، لم أجد لها أثراً.. ولكني رأيت الكثير من الأجساد تتمشى في هذه المدينة دون روؤس.....
وقطار المدينة قد رحل دون عودة .

****

حنين فوق أشواك الماضي

في بيت اللجوء يشتد عليّ البرد لا شيء سوى الرياح ورفاقي الهاربين... كل شيء من أمامي داكن لكن الموظفين - في الكامب - يبتسمون ابتسامة صفراء.

المستقبل هنا صعب وقاس، مثل طقسهم.

في ذلك اليوم لم تتوقف السماء عن البكاء، وقلبي لم يتوقف عن النحيب.

أشاهد الأخبار عبر حاسوبي الصغير- الذي استدانت أمي ثمنه وثمن قارب الموت وثمن حياتي.

حتى الموت نشتريه.

أمس أخبرني صديقي أنه وجد أحد المهربين (أولاد الحلال)؛ ودفع له ألفاً من الدولارات ثمن موته المعلن على شواطئ الحياة المركبة.

هناك في الضفة الأخرى من سينتظرك ولن تفكّر بأي شيء... هناك الراحة الأبدية.

في اليوم التالي لم يصل صديقه إلى الضفة الثانية، وأصبح رقماً في عداد المفقودين.

أما نحن فارتفعت الأمواج بنا وتذكّرنا كل شيء في شريط ذكرياتنا القصير؛ وناجينا الله.

وحدهم الأطفال سقطوا ولحقت بهم أمهاتهم؛ أما نحن الجبناء المتخاذلون فأمسكنا بطرف القارب وأسماك البحر تنتظر تعبنا لتقيم مأدبة عشاء فاخرة.

فور وصولي إلى جزيرة السعادة... أخذت صورة (سيلفي) ونشرتها على صفحات "الفيس بوك". كثير مثلي من الأغبياء علّقوا على هذه الصورة وهلّلوا لوصولي إلى جزيرة الأحلام.

في جزيرة الأحلام كتبت اسمي بين كثير من الأسماء، أما السلطات المحلية فقد كتبت خلف صورتي البهية رقماً أستطيع أن أتجول به كالبشر.

في الطريق إلى التحقيق، كنت قد حفظت ما تعلمته من أحمد قبل أن أحصل على الإقامة، والكثير من شباب حارتنا، حفظوا كل شيء عن ظهر قلب.

أنا من بلد الياسمين ومن بلد الشمس التي لا تغيب، ولست مع أحد ولم أحمل سلاحاً قط سوى قلمي وأغرسه في قلبي دائماً.

قبل غرفة التحقيق وجدت عيناً ربما سقطت سهواً لحظة إلقاء البراميل الدافئة، وحنين المدافع.

التقطتها ومسحت عنها غبار المباني المحطمة، ودماء العاشقين.

تركت جثتي في غرفة التحقيق، أما أنا فأنظر من تلك العين وأبحث فيها عن كل شيء تركته خلفي.

زنزانة خارج نطاق الجاذبية

جدتي التي حدثتني دائماً عن العفاريت الزرق..
لم أتوقع يوماً من الأيام أن أناديها خلسة وعلناً أمام ملل نفسي...
في ذلك البيت الصغير أترقب ذلك الحائط الأعوج الذي طالما لعنه البنّاء والبناء معاً...
ولعنت كل شيء وقع أمام نظري ..اللون الأبيض المطلي بالكلس بشكل يجعلني أتقيأ كل لحظة أنظر إليه ...
فجأة أجساد زرقاء مقرفة ذات روائح نتنة ..
قبضتْ علي وضعتني في غرفة صغيرة ليس لها نوافذ، ظننت في البداية أنه حلم ..
لكن مضيت أتمشى في تلك الغرفة الصغيرة الداكنة ..
رجال ونساء يصرخون ...
يتحدثون دون اكتراث، يدخنون يشربون كل شيء في نفس الوقت.
في الطرف الآخر راهبات، ورجال دين يمارسون الرذيلة ..تحت الطاولات المتسخة... الأطفال ينظرون إليهم كالكبار لقد فقدوا براءتهم...
الأصوات عالية جداً لدرجة أنك ربما تموت ويخرج الدود من جثتك، وكل شيء مستمر...

حينها وقفت بين هذه الجموع ...لم أصرخ ،ولم أبكِ ،ولن أتألم ..
الصراخات بدأت تتعالى من حولي ...
-يظن نفسه نعيقه عن الخليقة ...
-أحمق شاذ ...يبحث عن ....
-إنه متآمر مع دول الجوار ....
- الشياطين ..
انزويت أكثر وأكثر في زاوية داكنة بعيدة عن أعين ....
رغم ذلك تصيبني بعض الشظايا و الرصاصات، والعفاريت الزرق تتمشى بيننا تتجسس على سخافتنا ..
أحياناً يحاول ذلك الأحمق أن يمسك مؤخرتي، ولكني لم أستطع أن أنبس ببنت شفة ..
قررت بين نفسي أن أخرج من تلك الغرفة اللعينة ...
في البداية بدت لي الفكرة ضرب من المستحيل ..
عفاريت الزرق والمتطفلين والرجال والنساء وكل شيء من حولي ..
لكني قررت أن أخرج ...
ها أنا أخرج إلى الهواء الطلق والشمس الحارقة ..
لكن جسدي الضعيف لن يتحمل قساوة الطقس ..
مازلت أتنفس بصعوبة جداً داخل زنزانتي

حب معلن في علبة كبريت

حبك جعلني كالأحمق متناقضاً مع الجميع، لا أستمع إلا لصوت همساتك..
قررت بيني وبين نفسي أن أعلن حبي لك وللجميع..
لن أخاف أحدا ، أمك قالت لأمي: الأمر بالنسبة لها ، سقف و ،حيطان لا شيء أكثر من ذلك..
تعرفين أزمة السكان في تناقص، فكل يرحل إلى بلاد الشمال، كالطيور المهاجرة ..
في الأمس الحزين رأيت الكثير من العائلات تحمل حقائب الكآبة، وتطلق أقدامها للريح ..
-الحرب لن تنتهي في هذا البلد .
-فخار يكسر بعضه ..
أنا سأبقى هنا؛ سأجعل نفسي شبيحاً وأستولي على غرفة ناجية بين الدمار ..
المهم سقف ، وأحاول أن أحفر بئر ماء بجانبي، أما الأشياء الأخرى، ستأتي كالمسلسلات المكسيكية ...
الطعام والسماء مليئة بالعصافير الجريحة ..
في يوم سعادتي الأبدية، أستيقظ و أستنشق قذيفة

قبل أن أرتشف فنجان قهوة ،أفطر مع قذيفة ..أغسل وجعي بالماء البارد على أصوات الرصاصات ..

أتحدث معك وأتنغم بقذائف آر بي جيه..

-آه كم أنتِ قوية وجميلة ...

في الليل أنظر إلى السماء ،وقد أضاءت بالقنابل الفوسفورية ..

أنظر إلى حبيتي بكل رومانسية ..عادت ذكرياتنا القديمة.. أحلامنا المدرسية و أوراقنا..

كتبت لك الكثير من القصائد على قصاصات ورق صغيرة، أمسكتها جارتنا أم حمود وقالت ل أمي ..

-ابنك طالب فاشل في الحب ..

أم حمود تعرف كل شيء عن الحارة، لا يخفي عنها شيء ..

في الأمس قررت أن تنتقل لمدينة أخرى ..

يقال: إن الموت هناك لا يأتي كل يوم.. يأتي فقط على فراش النوم، والمستشفيات الحكومية ..

لا أحد معنا في ذلك البيت، إلا حبيتي، وطفل صغير يحبو على أصوات القذائف .

****

تأمل بين طواحين الهواء

(بنطال قديم ممزق وربطة عنق مهملة في خزانة خشبية وأوراق حزبية وشعارات)

ضجيج يملأ المكان...يحاصر الجدار من كل جانب..أما الهواء الساخن يلفح بجسدي الصغير،رغم أنني لا أشعر به لكنه يأتي بي كأنه احساس ساخن.

أمي تصرخ ...وكأنها صرخة مدوية تجتاح كل الجبال الساحقة ..

حبالها الصوتية كأنها صنعت من نوع خاص لا تستطيع الأجهزة الحديثة أن تقيس مدى تأثيره على الجملة العصبية.. تصيب الجموع بتشنج غريب ومحزن.

تلك الأصوات تصيب جمجمتي الصغيرة تضغط على الفص الجداري تحاول أن تقتحمه عنوة ..

الطاولات وأجزاء أخرى من المنزل الصغير يرسم في داخله خشب منذ العصور القديمة.. أجزاء متفسخة اخترقت الديدان لبه... لم تبالِ بتفاصيل البيت وعادته وطقوسه الدينية بل بقيت ونشرت أحفادها يعبثون ويمرحون بفوضى عارمة تتجلى أصوات الريح....

نساء يقتحمن أجواءنا وعيون تتجول في ذلك البيت تبحث عن تفاصيل نسائية...لا أدري كيف تلك الحشرات الصغيرة احتلت ذلك المنزل

واخترقت طاولتنا الخشبية ..أراها من بعيد تجول وتسرح ...إحدى تلك الدايدان تحاول أن تقترب مني تخترق جدار الخوف فيسقط قلبي ..

تلك الدودة اللعينة تقترب مني.. أحاول أن أسحقها لكنها لا تبالي بي ولا من نظراتي الباردة... تهرب بعيدا عن عيون أمي ...لم أعلم أن العيون تتلصص علي هذا منذ ولادتي...

أما تلك الذبابة فهي تخترق الحاضرين ..

-ما الامر..؟.

-قدر الله وما شاء فعل .

-بطل ابن بطل

-يسلم البطن الذي حمله

تقترب أمي من الغرفة وتغلق الباب على كل العيون المتسللة إلى غرفتي ...

رائحة الأزهار تعبق غرفتي الساخنة تتسلل إلى جثتي الباردة....

استرق النظر إلى ذكريات طفولتي عبر نافذة الغرفة...

****

منديل أمي

منذ زمن بعيد جداً... دست أمي في جيبي الصغير منديلاً ورقياً، اعتقدت في بداية الأمر بأنها تعويذة؛ ربما ستساعدني في امتحاني المدرسي.

تذكرت قول جدي:

استخدام الأشياء لا يأتي دفعة واحدة؛ بل يأتي وقت الحاجة..

على سبيل النكتة ،أخبرت صديقي في المدرسة بسر المنديل ..

-لا تخبر أحداً....

وبعد ساعة انتشر الخبر في أنحاء المدرسة، وطوق الأمن المدرسة والتلاميذ وأوراقي المدرسية...

لم أعرف كيف هربت وتسلقت جدار المدرسة _رغم أني أخاف من المرتفعات_لكني فعلتها وركضت في أزقة المدينة، وعيون غامضة تتلصص علي من شقوق الجدران المهترئة...

هكذا ارتباطي بمنديلي التاريخي جعلني أعيد نظري تجاه المناديل ..التي دائماً أستخدمها وأرميها متى استخدمت -ليس أدنى شك بها -إنها بالنسبة لي انتهت صلاحيتها و مكانها في سلة المهملات ..

أمس رأتني حبيبتي أنظر المنديل الورقي بفضول قاس ..

-أتمسك به كما أتمسك بكنز ثمين!

لم أستطع أن أعطي الجواب الكافي والمقنع لها ..لكني في وقت ما أنا بحاجة لذلك المنديل الوردي ،وعندما تنتهي حاجتي، بقمة النذالة أرميه مع الرياح..

تذكرت زميلي المتفوق حسان، كنت أراه كل يوم لا أسلم عليه.. قبل الامتحانات يصبح صديقي المفضل ..

وبعد الامتحان تنقطع صلتي به كالمناديل، يتصل بي معاتباً

-تعرف

قصص الحب لا تنتهي مشغول جداً

وأغلق السماعة وضحكاتنا تملأ السماء..

فجأة تمسك حبيبتي المنديل الورقي وتنظر إليه وكأنها تبحث عن شي ما مكتوب

-من أهداك إياه ..؟هل هي فتاة جميلة ..؟

(تقلب المنديل باحثةعن رقم متأكدة وجوده)

رحم الله القصاصات الورقية التي تطايرت مع نسمات الربيع.. تمسكها أم عبدو وتقول لأَمي: مازال ابنك فاشلا في الحب ..

من الأفضل أن ترسليه ليتعلم مهنة يشبع بها جوعه ...

لتلك المناديل علاقة أزلية تربطني بها أكثر مما مضى ..

ألوح بها في الفرح ..

أمسح دموعي البيضاء بها في الحزن ...

وأستخدمها في أخر الليل ...

في الصباح..قررت أن أمسح كل شيء في دفتري المدرسي ..

أن أمسح كل خرائط الكون.. وكل القوانين البشرية وأمسح كل زعماء العالم بمنديل أمي..

لكني سأحتفظ به من أجل أمي؛

وفاء و تقديراً لتضحياته ... سأصنع للمنديل تمثالاً حجرياً..

****

رحلة في طرق متعرجة

من منكم حاول أن يأكل علبة شوكلاته دون أن تتلوث شفتاه؟
من منكم سرق ألوان العطور ورشها على أجساد العاشقين؟
قلت لك أكثر من مرة أنت فتاة خارقة جداً ..وأنت تهربين بعيداً ،تختبيئن في بيت جدك القديم..
تلاحقنا لعنات الجدة والعيون المتطفلة ..
آخر مرة وقف لي شاب من أبطال باب الحارة ،واعترض طريقي ....
حاولت أن أزيحه عن طريقي كما يفعل الدبلوماسيون في بلادنا قطعت له الوعود ..
لم يفهم كلامي جيداً...لكن في النهاية اقتنع أنه ليس لي علاقة بتلك الفتاة..
ودعني مبتسماً ووعد أن يساعدني ..
ترتسم الدهشة على وجهك الجميل .. آخر مرة سرقت قصة من قصص جبران خليل جبران ...
لم أشعر أن أجنحتي تكسرت، وأنا الطائر في عشقك الممنوع ...
-الله يرضى عليك لا تتدخل بالسياسة..
-أراك مثل الوطن جميلة وغريبة.. لا أفهمك..

تأملت الفتيات اللواتي ينتظرن الحافلة... خدودهن تفاح أحمر .. اشتهيت أن أقبلهم الواحدة تلو الأخرى.

-يا حقير يا خائن...كل الرجال سواسية..

أنا رجل وأنت امرأة ..

يبحث عن قارب يبحر بها بعيدا ..يثمل برائحة البحر المالح..ويعرف أنه ربما لن يعود إلى شاطئ الأمان...لن يفعل شيئا سوى قبلة واحدة أخيرة ...وعلى الدنيا الطوفان .

أمس لم أتوقف أمام الإشارة الحمراء وسرت أمام دهشة الجمهور الكل كان يراقب ويبتسم ...

حتى الشرطي أخرج هاتفه وتظاهر بانشغاله تمنيت أن يوقفني.. لكنه لم يفعل..

نظرت إليه بحزن تمنيت أن تمسك زمام المبادرة .لا تعلم متى تبكي امرأة على حال الرجال .....

****

طريق في منتصف الحلم

الرجل الذي أراه في حلمي كل يوم يحمل سكيناً.. يلاحقني بين أزقة المدن.. يحمل سكينه الحاد ،يحاول أن ينقض علي...

أركض بأقصى ما أملك من قوة رغم أني كالدجاجة البدينة... أتخبط بين الطرقات ..العرق يتصبب ذاكرتي ... أحاول أن أبتعد قدر ما يمكن ..

خطرت في بالي فكرة بدت لي في البداية غير منطقية.. لكنني بما أني مازلت أحلم.. ربما أستطيع أن أنهي معاناتي الغريبة ..

صعدت داخل عمارة ضخمة جداً.. ومازالت وقع أقدامه الضخمة تلاحقني..

ما أن وصلت إلى السطح حتى رميت نفسي... متمنياً أن أستيقظ.. لكن حدث أنني لم أستيقظ، وسقطت على قدمي وشعرت بألم شديد.. وأصبحت حركتي بطيئة جداً.. لكن الغريب أن ذلك الوغد قفز أيضاً... وسرعته زادت.. رغماً عني زادت سرعتي ..وانطلقت كالريح مِن الوحش الكاسر ..

الشيء الغريب عندما أشرقت الشمس لم أر له أي أثر ... ومازلت أنتظر أن أستيقظ ...

****

ظلال ...

يجب علينا أن نتفق على شيء ما ..

المهم أن نتفق، الظلال لا تؤذي ولاتسمن من جوع ...

-كيف تقول ظلال ؟ هل لديك أكثر من ظل

-لدي الكثير منهم الطيب جدا والقزم والطويل والشرير والمخيف والمدمر والحقير والمسلي والظريف والمسكين ...

ظلال تتبعه أينما كان .

عندما صرخ مجدداً ..

-أنا هو أنا مثلما الرجل يصرخ في بئر عميق..

يظن أحياناً أن لا أحد يسمعه لكن يفطن أن الجدران لها آذان. يخفي ابتسامته البليدة داخل ورقة بيضاء قد اصفرت من سجائره الكريهة .

عندما قرر بينه وبين (الظل) أن يتوقف نهائياً عن التفكير ..للحظة فقط

-هذا ضرب من الجنون -

يعود إلى صفحته الصفراء الغيبة ..يودع حبره وغثيانه داخل محبرته .

أمس أخبرته عشيقته أنّ قبلته بليدة وغبية لا طعم لها بينما فمه تفوح منه روائح السجائر وأن أبطال قصصه أجمل منه وطعم قبلهم أشهى من العسل..

لا أدري هل أضحك أم أبكى
أو أعود الى صراخي مجدداً
-وماذا أفعل مع هؤلاء الأطياف لا يتركوني ولو لحظة واحدة ..؟
كنت قد قررت أن التحق بأول قبر أجده هل سيشاركني الشباب أم يبحثون عن زبون آخر..
-من تعتقد نفسك؟
-أنت لا شيء...
فقط ظل وحيداً بدأ يتكون بلباس أسود ولحية طويلة... يلاحقه حتى....

****

بقايا جسد

لا أدري كيف تسللت بين البنايات المدمرة والطائرات الحربية تلاحق جسد ابنتي الصغيرة...

أتوارى بين الأحجار والأشجار المحترقة وأخفيها بين ذراعي..

أتخبط بين الأشلاء المتناثرة...

أصيح بطفلتي أن تغمض عينيها....

وأحدق بين أنقاض المنازل... أسمع أصوات البراميل كأنها سيمفونية متناغمة للقتل تتساقط على الحارات القريبة ..

هذا اللعين يراقبني عن بعد، أركض بكل قوتي كالأرنب المذعور...

طفلتي تستغيث بين ذراعي.. قصصي

هربت ودفنت في التراب ..

مددت ذراعي وخرجت من التلفاز ..وضفيرة طفلتي

مازالت عالقة بيدي ..

أغلقت التلفاز، ورحت في نوم عميق

****

في محطة قطار ميلانو

مازلت انتظرها ...

مثلي مثل الكثير من المهاجرين ينتظر لحظة إطلاق سراحه من ذلك السجن المعتم ...

من بقعة بعيدة يأتي قطار يحمل رجالاً ونساء و أطفالاً يضحكون .

-الحمد الله وصلنا ..

-الجو بارد ..

لكنك لم تأت/ الله يلعن المهرب/ قلت لك أكثر من مرة هذا المهرب لا يعرف شيئاً سوى طرق الحانات ،والسهر في الطرقات ،وكتابة القصص الحزينة ..

أتفقد تلك الوجوه أظن..رغم أني لا أعرفها لكن أعرف الكثير عنها ابتسامتهم الحزينة تغري عدسات الكاميرا الأجنبية بينما يلوحون لها بكل براءة وحزن وكأنهم يرسمون علامات النصر لرحلتهم المميتة ..

الله يلعن هذا المهرب حاولت أن أتصل به مرات ومرات ..

حبيتي لم تأتِ ...

أتفرس وجوه الفتيات ..

أخيرا رد (ابن الحرام)

-ألو .. أبو هيثم ...أين شام ؟

-شام عادت إلى بلادها ..

-لماذا ...؟

-عادت إلى دارها تجمع حجارة بيتها المهدم ،ولن تنتظر من يطرق الباب ....

****

بماذا تفكر.....؟

قائمة أكثر الأشياء استخداماً ..

قهوة من نوع رخيص

وهاتف مع حزم انترنت

علبة سجائر

ولاعة صينية

وحذاء مهترئ

وحبوب منومة

اعتاد العجوز أن يمشي كل صباح إلى السوق الشعبي ويستمع لصوت فيروز وهي تغني كل صباح...

أي مجد تتحدث مادام البشر هنا من غير طينية البشر في أي مكان آخر...

الناس تصرخ لتبيع الكذب والنساء تدلل على أجساد بناتها وعوانس تبحث عن عابر سبيل...

قلب عجوز بجسد شاب يتسكع بين الأزقة القديمة الممتدة مع الأبنية الحديثة التي أفقدت كل شيء له نكهته الخاصة....الكل يحشر رأسه بذلك الملعون الصغير ....يضحكون ويصرخون لوحدهم لا أحد يهتم بهم....لعنة

الله على الأجهزة الحديثة...لو جدي كان حيا سيرفض اللعين فيس بوك، دخول بين بيته وينام على وسادته المريحة ...

-اللعنة على ذلك اللعين يصدر صوتاً..

أقسمت لوحيدي أن هذا اللعين سيشاركني فقط المكان لا شيء أكثر.. لن أتحدث إليه ولا أقع في دوامته ،رغم أن ابني أقسم لي أن هذا الكائن المدسوس خفيف الظل لا يكلف ،وغير ذلك يستطيع بلمح البصر أن تتصل مع من تحب من الكائنات البشرية، وغير ذلك...وتعبر عن مشاعرك الدافئة فبعد وفاة زوجتي أم أولادي لابد من أنيس حتى لو كان هذا الأنيس وهمياً أو ما يسمونه الافتراضي ..يجعلك بلمح البصر من أجمل شباب الحي.

يئن ذلك اللعين ويصرخ في وجهي ..

- يخرب بيتك لا يوجد احترام لأحد؟ ماذا أقول: هل تفهم تلك الآلة الغبية أني لا أريد التحدث إليها ...

-جرب الكل يحاول ..

-لن أحاول ..

-ستخسر كل شيء ..

-لن أخسر شيئاً ..

ابتلع الحبوب المنومة وكتب على صفحته :يلعن روحك يا مارك

****

حارة مع وقف التنفيذ

في الطريق إلى بائع اليانصيب حلمت أني ربحت الملايين من القبلات ووزعتها على كل أصدقائي وعلى سبيل الخيانة أرسلتها لجارتي التركية...أما الباقي ،احتفظت بها في حسابي(البنكي الأوروبي) أسترده عند الحاجة..

سعيد كان مثلي ينتظر الباص أن ياتي بموعده ولكنه كان يتأخر في دوامه الرسمي وأغلب الوقت كان لا يأتي..

كنا نبحث عن اسمه في الجريدة (صفحة الوفيات)إلا أننا نرى جثته تجلس خلف الطاولة وتبتسم بلا مبالاة، وتحل الكلمات المتقاطعة ..

الساعة مخلوق لا فائدة منه في الوقت الحالي.. قررت بيني وبين شيطاني أن استبدله بحذاء خفيف أركض كالغزال واختفي في المدينة الصاخبة . تذكرت حارتي على مفترق الطرق - على اليمين جامع وعلى يسار كنسية أما في الوسط ملهى ليلي ..

التلاميذ يمرون به ذاهبين إلى مدارسهم يحملون كتبهم ورسائل عشقهم وأحلامهم ....والسيارات تمر بذلك الشارع ..

الجميع مرّ من هذا الشارع حتى المسؤولين بسيارتهم السوداء المظللة بأذيال من المخبرين والمندسين ..

حتى اللصوص مرّوا من هذا الشارع وتظاهروا أنهم أناس مثل الآخرين ...

بالأمس مرت فتاة وغمزتني ودست في يدي منشوراً ضد النظام أخفيته في قلبي..لم أكن أعلم أن أثاره تظهر في وجهي..

لم أكن يومها أنتظر ساعي البريد ليحمل لي أوراقاً كثيرة وطلب مني أن اكتب تعهداِ خطياً بعدم ملاحقة أي فتاة جميلة ..كنت محتفظاً بحسن السلوك الذي أحضرته من مختار حارتي القديمة(بعد أن قبض ثمنه) . . يومها قلت لأحمد إياك أن (تطبق) البنات من خلفي ..

ذات قذيفة ..لم تعد حارتي نفسها بات سكانها يتعرفون على الحزن كل يوم .. حتى مختار الحارة صرح في وسائل الإعلام الرسمية وعلى صفحته في (فيس بوك) ..

-لاشيء يحدث في هذه الحارة وكل شيء تحت السيطرة...

كل ليلة تنام الحارة على نحيب النساء ،فقد خطف الموت أحبتهم..

في المساء نزح معظم سكان الحارة إلى الشمال..و أغلقت الفتيات غرفهن...

أما سعيد مازال ينتظر الباص أن يأتي بموعده....

****

حب على أسوار قلعتك

ركضت بأقصى ما أملك من سرعة ووقع أقدامي تبعد الغبار عن طريقي..
أتعثر بفارغات القذائف التي ملأت المكان...
وقفت مشدوها إلى ذلك المكان الذي كان يبعد عني مائة ألف وردة حمراء، تركها على أبواب شرفتك الحزينة في ليل أيلول..
أغمضت عيني...لأستحضر ظلك الضائع بين طرقات الحرب التي طالت لسنين ..
وسنين .. مسحت عن عينيك الكبيرتين زجاجة خمر معتقة في شتاء بارد...
-أنت هنا ..
لم تجب
-بحثت عنك طويلاً ...
لم تجب أيضاً .. .
أمسكت ظل يدها وجريت بها بعيدا عن سوق المدينة ...
ربما أني لم أعشق مثلك تلك الأحجار بعد .
قي تلك اللحظة كنت على وشك أن أهرب بعيداً مقدار قلب جريح عن عشقي لم يكن لدي الجرأة في النظر إلى عينيك مرة أخرى ..
لا أعرف ماذا أقول لأمي إذا فشلت في استرجاع حبيتي ..
وأنا أسترق النظر إلى مدينتي ...

هل سأقول لها كنت أسرق أحجار المدينة ..

أو أسترق السمع كالنساء ...!

هل تذكرين عندما دخلت القلعة من بابها الكبير وقلت لك:

-تعالي نلعب لعبة الاختباء.

كنت تهربيين من قبلاتي الباردة في صيف تموز ..تتسلقين أحجارها الكبيرة التي تفصلك عن قلبي مسافة شوق..

خمنت أخيراً أنك تختبئين في (حبس الدم) سميتها وقت سجن العشاق..

حطمت الحديد كنت على وشك تحطيم قلبك الصغير الدافئ ..

رأيت كل المدن في عينيك الكبيرتين..

-تلك قلعتي وحياتي في فصولها ..

نتدلى على أسوار القلعة كطفلين ضائعين ،والناس تحدق بنا..

فشلت في استرجاعك ..

لم أتجرأ على دخول التاريخ أكثر ...

أمي قالت لي :ارفع رأسك ..فالإجابة عن الماضي يعني التنقيب في باطن الأرض..

تذكرت يوم امتحان التاريخ كنت أحاول (النقل)من صديقي محمد يومها قلت له فقط هذا السؤال ..

تجاهلني..

قلت له سنعلب معاً كرة القدم وبعدها سنذهب إلى (محل سلورة)* ونأكل مثلجات شهية ..

بينما لبى محمد نداء صديقه بلغة كردية فهمت أنه يساعده (في النقل).

-تباً حتى أنت يا محمد لا تساعدني .

سأعتمد على بوغوص ..هو لماح..

نظرت نحوه كان مستغرقا حتى أخمص قدميه ..

لذلك رسبت بجدارة في مادة التاريخ وفي كل الفصول الدراسية ..

منذ مدة لم التق بهم ، كل منهم عبر إلى قارة مختلفة ..

هربوا من الظلال السوداء ليلتحقوا بضوء صغير ينمو كل يوم في عقولهم ...

-ما أقسى الحياة وما أشهى أن نقاوم الموت والحياة دفعة واحدة .

والدي استشهد أمام الفرن وقد تلون الخبز بدمائه..

لذلك قرر أخي الأ يبق ليوم آخر في ذاك البيت..

أما أمي أصبح البيت هم أطفالها ..

-هنا ولدت وهنا أموت.. لن أترك أولادي .

أشارت إلى غرف الدار ..

عند القلعة..قريباً من (حبس الدم)

لاشيء هنا إلا رماد على الأرض...

لا شيء أفعله سوى النظر إلى السماء، أنتظر أن تشرق الشمس على حجارتها البيضاء....

غربة

وصل إلى مدينته بعد تعب شديد... لم تكن سوى مدينة أشباح...
هنا كانت حياة طفولته ومراهقته ...من أين سيبدأ ؟ هل سيزور القبور..؟
وقف مترددا ...في الصباح سيزور المدينة ...
أقل شيء يجب أن يزور أقاربه بعد غياب طويل.. سيحدثهم عن مغامراته الوهمية وسفره المثير والبلاد البعيدة التي طالما كانوا يشتاقون للشمس والجو الدافئ،ربما سيطلب وقتاً طويلاً أو عدة ليالٍ .. غير مهم المهم سيلتقي بهم ، ويسأل عن أقاربه فرداً فرداً ...
هل مازالوا أحياء ..أم أمواتا ..يزورهم..ويزور كل شيء في مدينته..
بعد قليل ستبدأ الساعة بالركض -لن يشعر بالزمن-..هكذا بدا له للحظة واحدة حياته كشريط سينمائي قصير ...
حقيبته الصغيرة بالكاد كانت تتسع لقهوته وحاجاته وألبسته الداخلية...كل شيء بشكله الخارجي يبدو سهلاً للعيان ...هنا كل شيء متوفر وبكثرة..
تذكر العم أبو نديم ومحله(الفوضوي) كل شيء فوق بعضه البعض ،عنده كل شيء لا تعرف ماذا يبيع.. تجد عنده حتى لبن العصفور .. ..طوابع ..قرطاسية ..حبوب .. (طعام عصافير) ..زجاج مكسر ..خبز يابس ..ملابس قديمة وكان يتسلق كأنه يتسلق على جبل لكي يجلب للزبون حاجته ،كان

يعرف مكان بضاعته.. كان يشعر لو أنه عمل في ذلك المحل سوف يضيع لا محال بين البضائع ويختفي في هذا المكان الغريب ...

أخذ سيارة الأجرة وتجول في حارته القديمة ...كان كل شيء جديداً.. البناء والأزقة ...

سأل السائق هل هذه الحارة القديمة ...؟

ضحك السائق بسخرية سوداء

-منذ متى لم تزر الحارة ...؟ كل شيء تهدم ..

-ماذا تهدم ...؟ولماذا؟

-سيدي هل سمعت بالوباء الأسود الذي حل في المدينة..؟

-ماذا حدث ؟

حاول السائق أن يتهرب من السؤال و أشعل سيجارته وسحب نفسا عميقا...

-وصلنا ..

وقف يتأمل كل شيء في هذا المكان القديم للذاكرة المتعطشة ..نادراً ما تلمح الرجال أو الشباب في هذا المكان ...

كان الشارع مكتظاً بالنساء والفتيات...عيونهن بدأت تلمع ...

حاول أن يسرع خطواته الثقيلة التي أثقلتها السنون متظاهراً بأنه يعرف الحي منذ زمن بعيد ...لكنه وجد نفسه يدور في نفس المكان...

الكل بدأ ينظر إليه لاحظوا ملابسه الغريبه و وجوده الغريب بينهم...ونظراته المرتبكة التي تخفي غيوماً وأشواقاً ..

نبضات قلبه بدأت تتسارع كسيارة قديمة كأنهم ينصتون إليه ...العرق يتصبب على وجه رغم أن الجو مازال بارداً...

كل شيء من حوله بارد ....المكان ..البشر..

عاد إلى نفس المكان ... السيارات كأنها تدور وتدور..

حقيبته الصغيرة أصبحت عبئاً عليه.. إحدى النساء نظرت إلى تلك الحقيبة،كأنها تريد أن تفتحها وتأخذ كل شيء بداخلها.. أمسك جيداً بالحقيبة.. لكن قوته بدأت بالتقلص تدريجياً ولا يستطيع أن يحملها إلى أكبر مسافة ممكنة ... التعب أنهكه وبدأ يجرها والمرأة وراءه تحاول بنظراتها أن تملك الحقيبة وصاحبها ..

خطر في باله أن يصرخ في وجها ويخيفها...تذكر أنه غريب رغم أنه ولد في هذه المدينة ..لكنه يبقى غريباً ..

سمع صوتاً يأتي من الشرفة ..

-هل يحمل هذا الرجل تصريحاً.

-ياله من الجنون أنه الجنون بحد ذاته ..

ولادته هنا لا يعني لهم أنه يحق له أن يمشي مثلهم يبقى في نظرهم غريباً...

المرأة بدأت تقترب من الحقيبة...هل تستطيع تلك المرأة أن تتغلب على ذلك الرجل ،،

الطريق بدا ضيقا جداً لكن المرأة مازالت تحاول أن تلمس الحقيبة.. لن يجروء أن يصرخ في وجهها أخفى خوفه و أسرع خطواته.. يخفي وجهه من أشباح المدينة ..

فتح الحقيبة... لم تكن في الحقيقة سوى مدينته الصغيرة ..

****

رسالة من حلب

سماء بلا قمر، أشباح مرئيّة تتجول في المدن ..
لا شيء سوى دموع فتاة صغيرة تئن من الجوع ..
هل ينحني ذلك الغصن الأخضر أمام الرياح ؟
بالأمس، أمسكت تلك الفتاة قارورة زجاجية وصرخت..، وأغلقتها وتركتها على الأرض
غربان الجو أغارت على حارتها الجميلة التي لم يبق منها إلا حطامها ...
تركت الفتاة كل شيء خلفها ..
في الصباح الكئيب ،عندما دخل الغرباء إلى المدينة وجدوا تلك القارورة ،أحد الجنود فتحها ..
أصابه الذهول .. بقايا من صورة ابنته الصغيرة وهي تنتظره في المطار ...
في مكان ما ...قالت له العرافة:
لا تنتظر من يفتح لك الباب .. لن تجد أحداً

****

شيزوفرينيا ...

ترددت كثيراً في القفز والرقص بين الأموات
:جاثوم لا.... .فقط من يبحث عن طرق النجاة في وسط المحيط....
يتمسك جيداً بعصى سحرية،تنقله إلى مشارف حياة أخرى...
تكون نهايتها مثل البداية.

****

رحلة فتاة

تجد نفسها في العراء ..
قطع لحم صغيرة تنبش التراب ..بين أوراق الشجر ،
تخرج نبتة حمراء ...
ليورق الربيع خبزاً .

****

صناعة أزقة الليل

يسير في شوراع مدينته التي خلت من سكانها...الكثير منهم هربوا والبعض مختبئون بين الجدران لا يخرجون إلا في الصباح أو في فترات هدوء المعركة...
عاد إلى بيته النصف مهدم، اختبأ في إحدى الغرف الناجية..
رمى بعض القطع البشرية في الوعاء الزجاجي..أجزاء متفرقة من اللحم الأسود المحترق..
وقطع حمراء غير واضحة المعالم..
في المساء مزج معهم أزهار التوليب.

****

في المصعد

علق بنا المصعد ... وأصبحنا بين السماء والأرض..

الأول :يجب أن يرى العالم بأكمله أننا نعيش هنا..

الثاني :من فعل بنا هذا..

الثالث : وجودنا أو عدمه لا معنى له عند الآخرين..

الرابع : يجب أن نخرج من هنا وإلا مستقبلنا ومستقبل أطفالنا قد ينتهي..

بعض النساء اكتفين بالبكاء...

أما في الخارج. ....الناس يمارسون حياتهم الطبيعية ويتجنبون السير من جانب المصعد...

****

في المخيم

صنعت الفتاة الصغيرة ..رجل ثلج عملاقاً،
وغطته بلحاف صغير..
بكى رجل الثلج.

****

صورة سياحية

على أسوار قلعتها القديمة .جلس يتأمل أنقاض جامعها، وأسواقها ....باع كل شيء يملكه...واشترى لنفسه صورة لمدينته القديمة.

****

دبكة

تموجات جسده تتلاحم بشكل متلاصق، تتشابك الأيادي وتناغم مع لحن قديم لن ينتهي....

مرت من أمامه تلك الصور ...وجسده ينزف...

حلمه الوحيد أن يغني ..

الأقزام السبعة وبياض الثلج

أرسلت الملكة جندياً لقتل بياض الثلج، كنه رفض في اللحظات الأخيرة ..

:بياض الثلج جميلة ...

قرر الأقزام السبعة أن يحموا بياض الثلج، من الأشرار

أعدت كتائب...واشتد التنافس بينهم..حتى نشبت بينهم حروب طاحنة....

بينما هربتْ بياض الثلج إلى خارج البلاد، وبقيت الملكة.

****

أوهام

استيقظت صباحاً ..ذهبت إلى الحمام، وغسلت وجهي وأسناني ... نظرت إلى المرآة ... هذا ليس وجهي وتلك الأسنان البشعة ليست لي .... لم أصدق... حاولت أن أصرخ....

ذهبت إلى ولدي الوحيد وأيقظته.

-هل تراني ؟

- أبي أنا فقط أسمع صوتك منذ زمن بعيد ..

****

جريمة

قادوه ؛والدماء تتساقط على الأرض ...

-ماذا فعلت...؟

غطوا عينيه بقطعة قماش سوداء ..

-ماذا فعلت طوال حياتك..؟

-كنت أنام وأنام...

-لابد وأنت نائم، حلمت...

****

لوحة غير مكتملة

بعيدة جداً عن بيتها ...حزينة ،جائعة..

رفعت الطفلة يدها إلى السماء.

بينما كان القناص يسدد بكاميرته ...رصاصة.

****

نبيذ رخيص

بكل فخر واعتزاز جلس يتذكر ضحاياه ..مع نبيذه الدموي .الكأس الأول :ذبحته لأنه كان أجمل مني

الكأس الثاني : اقتلعت حنجرته لأن صوته عذب .

الكأس الثالث:أحرقت جسده ..وسحقته تحت التراب .

الكأس الرابع : اقتلعت عينيه لأنه يرى الكثير من الحسناوات .

ومازال يكرع كؤوسه حتى سقطت القذائف على رأسه ...

بينما حلقت العصافير في السماء.

****

بقايا آدم

كثيراً من المرتزقة يتابعون تحركاتي..
سأفرد جناحي و أطير...كنت على الفور حلقت بعيداً عن تلك المدينة الصاخبة ..
تمر فتاة شقراء ترمقني بنظرات غريبة ...على الفور التحق بأول قطار، وأتوسل لتلك الأمطار...أن تحقق حلمي، ولو لمرة واحدة في هذه الحياة .
لا أحد يستحق أن يعاش من أجله ..سوى تلك الوردة الحمراء؛ أمام شجرة التفاح العظيمة ..

****

لم يسمع الكلام ..

أصدرت مجموعتي القصصية .. ونشرتها على الأرصفة والطرقات .. اليوم جاءتني مصلحة الضرائب ؛ بحجة تلوث البيئة ...

****

مفقود

في شتاء تشرين الثاني،أخفيت قلبي في صندوق أسود ..كما نصحني جاري أبو فؤاد ... -إياك أن يراك أحد " بتروح فيها" . عندما دخلت البلاد استطعت بكل براعة أن أتجاوز الحاجز الأول والثاني ..السادس عشر..... حتى تجاوزت كل الوطن.

****

مقايضة

من بعيد كان يلوح له...تمهل القناص قليلاً ..لكنه قابض على الزناد ... اقترب منه أكثر ..

- أنت مع من ؟...

-أنا مع نفسي ...ضد البشر.

****

حكم.....

لأنه مسكين و جائع ... قرورا قطع(يده).. تلك (اليد) التي بترت، أطعمت أطفاله و(آمنته من خوف)...

****

كان يا ما كان...

كان هناك بيت كبير، وحلم صغير يبنى على شرفات الزمن ..
أجساد صغيرة وكبيرة..
-ربما عجوز مثلي..أرهقته الأحلام.. يسترق النظر إلى الأمام ..خلف الستائر ظلال سوداء ..وصورة ظل معلقة ...

****

ح ل ب

بهدوء تام.. زحفت الفتاة الصغيرة في غرفتها وارتدت أجمل ماعندها... نفضت الغبار عن بيتها.. و ملأت ابتسامتها أرجاء السماء .

****

لحظة انتظار

الجميع ذهبوا إلى ديارهم إلا الطفلة وقفت أمام شاهد القبر ،تنتظر أباها أن يأخذها إلى بيتهم المدمر ..

****

رحلة طويلة جداً

-1-

ارتمى بأحضان الطريق..
بعيداً جداً عن العواصف والأمطار..

-2-

حذاء مهترئ على جانب الرصيف..
طاولة صغيرة وكرسي قديم..
فتاة الليل تسرح بين الأزقة.

-3-

المياه والخبز نفدت..
وامرأة ترتدي ثوباً أسود..
تلوح بمنديل.

-4-

في غرفة مظلمة..
ينتظر من يفتح له القبر.

****

مخيم اليرموك

في المخيم لم يستطع الطفل أن يحصل على رغيف واحد .. رسم وطنه ، وأرسلها على طائرة ورقية ...

****

ضوء في غرفة معتمة

بصمت حزين... رسم الشاب المثقل بالجراح جناحين كبيرين وقطف من أزهار الربيع وردة حمراء ليقدمها في ميلاد زوجته ،بينما حلقت أحلامه فوق أسوار السجن بحرية ..

****

هدية تاريخية

لم تقبل زوجتي مني .. الوردة البيضاء في عيد ميلادها الأربعين....كانت تتحدث عن جاراتها الفارسية التي أهداها زوجها في عيد زواجها (رأس زنوبيا)

****

وشاية

تباهى أبو أحمد أمام الجيران بامتلاكه قلبيين..خافت زوجته أن يتزوج أجمل منها...فوشت على زوجها إلى مختار الحارة...وبدوره نقل الخبر إلى أعلى مستوى أمني....

في اليوم التالي تزوج أبو أحمد ... ألقي القبض على زوجته بتهمة إزعاج السلطات..

****

لجوء

الفراشة التي هربت من كابوسي المظلم...عادت واستقرت جانب جثتي .

****

صورة عائلية نادرة

في غرفة مظلمة والطقس بارد جداً أعيش مع زوجتي وأطفالي الصغار نتبادل الأحاديث الجانبية ....
صورة جدي المتوفي منذ زمن لا زالت في الغرفة المظلمة..
الكتب المكدسة منذ زمن ..
نتحسس أصابعنا الباردة..
طفلي الصغير بادر بسؤالي:
-منذ زمن لم نأكل أي شيء بعد قصف بيتنا؟

****

نتيجة

انتهت الأمور على خير بعد سنوات طويلة ..عاد إلى وطنه لم يجد سوى كرسي فارغ، وشواهد قبور على مدِّ البصر...

****

المرقد الأخير

نزلت إلى الماء لأتفقد رعيتي من الأسماك والدلافين ..لا أستطيع أن أرفع رأسي خوفا من الحيتان وسمك القرش ...رغم أن رائحتي طافت كل البحر الأبيض المتوسط... تمر بي الأسماك الكبيرة تسخر مني الكل ينظر إلى تلك الوليمة المالحة الأشد ملوحة من البحر نفسه ....بل الكثير مثلي هم من البؤساء الذين لا يملكون وطناً ..سوى ذلك البحر الأزرق القاتل....

****

صراع

بصعوبة غريبة الأطوار كان يلاحق جسده المنهك..
يهرب.. بين الحقول..
ظل لم يفارقه في لحظة الظلام
امتطى صهوة أحلامه؛
أغلق نافذة بيته ،وصورة قلبه المعلقة ...

****

حب في زمن الحرب

الفتيات الجميلات عبرن الشارع .. في مكان مرتفع نسبياً عند مفرق الطرق،ثمة قناصة حنونة تترقب بشغف محب . رفعت الفتيات أيديهن .....
- أنا.
- أنا..
- لا أنا..
عندما أطلق القناص وردته الحمراء.
سقطت...

دوماً

في سوق شعبي صغير ...
اشترت طحينها.
و عجنت الضوء مع جوعها الطويل ..
سقطت جميع الجثث ،ونامت تحلم بسماء زرقاء وعصافير...

****

الأجنحة الصغيرة

قال الأخ الكبير للصغير: -لاتخف ..لايوجد دمار ،ولا قتال.. ألعاب و أراجيح كثيرة ....
قبل صحوهم من فوق ركام منزل قديم.

****

أشواق

بخيط رفيع يخرج من سريرة نفسها ..رسمت على صفحات النهر أمواجاً..
ورقة بعد ورقة تتساقط الأشجار .. ترسل رسائل للعصافير،وأشواقاً إلى موطنها الدافىء.....
يستمر تساقط الأوراق على نهرٍ جارٍ
ويستمر قلبها ينزف ألواناً حمراء.

****

أحلام معلبة

أكثر من سبعين حلماً وصلوا إلى أرض الميعاد ... الأمهات فرحن لوصول أبنائهم... هنا لا قتل ولا جوع.....
الأباء سيظفرون برؤية أطفالهم ،وهم يحملون حقائبهم المدرسية...
قال أحد الشباب :سنحرث الأرض ونجعلها جميلة مثلنا...
أما الأطفال سيجدون الكثير من الدمى والكرات والألعاب تنتظرهم...
كلهم انتظروا داخل الشاحنة عسى أن يفتح لهم الباب .....
ويحلقون مع أسراب الحمام ...

****

رحلة بين أمواج البحر

حين ذهبَ زيد إلى البحر ، لم يكن يعرف أن السماء ستمطر رصاصاً على الأموات .. بينما عزفت الأسماك ؛وغنت له قبل النوم .

****

حب تاريخي

شادي الصغير، يجمع عبوات الصورايخ التي لم تنفجر...يفرغها ويعبئها بالتراب ويزرع بها أزهار الياسمين لعلها تنفجر في قلب ميرنا..

****

ديار العرب

في مخيم الزعتري تمنت أن تعود إلى بيتها المحطم ،وتجلس في العراء قرب باب دارها .. أشعلت في قلبها ناراً ، وجلست تتدفأ.

****

احتلال

آفرين فتاة جميلة ..أصرت أن تنام في منزلي. طردت جميع أبنائي و زوجتي ،ونامت على فراشي بينما كنت صائماً.

****

ضياع

في بيتي القديم ارتدت آفرين الجميلة بزتها العسكرية وحملت السلاح، وبدأت تتجول في غرف المنزل . بينما ركضت إلى حديقة جاري أبحث عن أزهار الياسمين .

****

هدنة

في المساء خلعت آفرين الجميلة بزتها العسكرية وارتدت بدلة الرقص ... رقصت على أنغام المدافع ..

****

خط أحمر

آفرين الجميلة نصبت القناصة على سطح المنزل، وحذرت الجميع ... بينما لم أعد أسمع إلا لنبضات قلبي والزهور..

****

كابوس يومي

لا أستطيع أن أرى من حولي أي شيء.. سوى تلك الموسيقى السوداء، ورعاة البقر. وآفرين الجميلة.

****

س و ف

في طابور الصباح نادتني آفرين الجميلة أن أرتدي بدلتي العسكرية، وأذهب معها إلى حدائق القدس .. في المساء رأيتها ترقص على أسوار أورشليم ...

****

فخ

وقع صديقي في حفرة عميقة...وصرخ صرخته التاريخة.. بعد حين حاولت أن أخرجه لم أستطع...كان الحمل ثقيلاً ، وذكريات آفرين الجميلة..

****

أصدقاء

همست آفرين لصديقتها الأمريكية ..في حوار دام سنين ... مامعنى أننا أعداء وأصدقاء في نفس وقت ؟

****

قصص

منذ زمن بعيد ،كانت هناك قصص حزينة مدفونة تحت بيتي القديم ؛يتداعى منه الوطن ..

****

حكاية عشق

الوقت المتبقي عشرة وردات حمراء، وطلقة رصاص وحيدة .. هكذا قالت حبيتي ..وأنا ألملم جراحي ... لم أرَ حولي إلا ركاماً وجثتي مستلقية خلف بيت صغير محطم... و قلباً يزحف ببطء شديد نحو شوارع حلب .

****

عودة

أمسكت ضفيرة صغيرتي و خرجت على أصوات المدافع، لم أتوقع حجم الأرواح في السماء.

حملت آلامي على ظهري ومشيت ...

-لن أخرج من هنا ..

تركت تحت ركام المنازل قصصاً وحيدة تبكي ...

في الليل ،عاد ظلي إلى المدينة وحيداً يختنق بعتمة الحرب .

****

بقايا قلعة

الحلم الذي زارني أكثر من مرة دون فائدة
ذات مساء متعب وقف عاجزاً يتأملني بصمت غريب ..
عاد الحلم ومن خلفه أنهار من الدماء..
يحاول أن يبث الروح في جثتي ..
بينما أحجار حلب تبتسم لي من بعيد جداً ..

****

ذات حلم

مرَّ بجانب القلعة وهو يحدق إليها بعيون عاشقة .. السماء صاخبة والأسواق المدينة المحترقة .. همس :اخ لو كنتُ مطراً !

****

محتويات الكتاب

الإهداء 4

المقدمة 5

حكايات بين الورق 11

مدينة في جنح الظلام 13

حنين فوق أشواك الماضي 15

زنزانه خارج نطاق الجاذبية 17

حب معلن في علبة كبريت 19

تأمل بين طواحين الهواء 21

منديل أمي 23

رحلة في طرق متعرجة 26

طريق في منتصف الحلم 28

ظلال 29

بقايا جسد 31

في محطة قطار ميلانو 32

بماذا تفكر..؟؟ 34

حارة مع وقف التنفيذ 36

حب على أسوار قلعتك 38

غربة 41
رسالة إلى حلب 45
شيزوفرينيا 46
رحلة فتاة 46
صناعة أزقة الليل 47
في المصعد 48
في المخيم 49
صورة سياحية 49
دبكة 50
أوهام 51
جريمة..... 52
لوحة غير مكتملة 52
نبيذ رخيص 53
بقايا أدم 54
لم يسمع الكلام 54
مفقود 55
مقايضة 55
حكم 56
كان باما كان 56

ح ل ب 57
لحظة انتظار 57
رحلة طويلة جداً 58
مخيم اليرموك 59
غرفة معتمة 59
هدية تاريخية 60
وشاية 60
لجوء 61
صورة عائلية نادرة 61
نتيجة 62
المرقد الأخير 62
صراع 63
حب في زمن الحرب 63
دوماً 64
الأجنحة الصغيرة 64
أشواق 65
أحلام معلبة 66
رحلة بين أمواج البحر 66
حب تاريخي 67

ديار العرب 67
احتلال 68
ضياع 68
هدنة 69
خط أحمر 69
قابوس يومي 70
س و ف 70
فخ 71
أصدقاء 71
قصص 72
حكاية عشق 72
عودة 73
بقايا قلعة 74
قابوس يومي 74
محتويات الكتاب 75

تم بحمد اللّه

بقايا جسد

مجموعة قصصية

حسن جبقجي

الطبعة الأولى

1441 هـ 2020 م

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع

مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com